رؤية الشيخ محمد الغزالي للحضارة الغربية

الأستاذ عبد الإله التاج

رئيس المجلس العلمي بالحاجب

مقدمة:

فرضت الحضارة الغربية وجودها في العالم المعاصر، بإنجازاتها الضخمة والمتنوعة، مما استوقف كثيرا من المفكرين والمصلحين بين الإعجاب أو الرفض، والشيخ الغزالي أحد هؤلاء المصلحين، الذين استوقفتهم الحضارة الغربية فأخذت من مشروعه الفكري نصيبا كبيرا. فما هو موقف الشيخ من الحضارة الغربية؟

وقد اقتضت طبيعة البحث تقسيمه بعد هذه المقدمة إلى ثلاثة مطالبوخاتمة.

المطلب الأول: الحضارة الغربية: المفهوم، والمقومات، والخصائص.

تنوعت صيغ وتعريفات الحضارة، كما أنها تتأسس على مجموعة من المرتكزات، وتمتاز بخصائص متعددة.

الفرع الأول: الدلالة المعجمية اللغوية والاصطلاحية لمفهوم الحضارة:

1) الدلالة المعجمية اللغوية لمفهوم الحضارة:

جاء في تاج العروس: «والحاضِرَة، والحَضْرَةُ، والحَضَرُ، هِيَ: المُدُنُ، والقُرَى، والرِّيفُ، سُمِّيَتْ بذلك لأَنَّ أَهلَها حَضَروا الأَمْصارَ، ومَسَاكِنَ الدِّيَارِ، الّتي يَكُونُ لَهُم بِهَا قَرَارٌ[1]»، وفي **المعجم الوسيط**: «الحضارة»- بكسر الحاء وفتحها -تعنى الإقامة في الحضر، وأن مظاهر الرقي

[1] محمّد بن محمّد بن عبد الرزاق المرتضى الزبيدي. تاج العروس: 40/11. مادة (حضر)

العلمي، والفني، والأدبي، والاجتماعي، في الحضر[1] وفي **القاموس المحيط** «الحضارة» ضد فعل «غاب»، والحاضرة، والحضارة، و«يفتح» خلاف البادية[2]

خلاصة القول، إن مصطلح الحضارة غني بالمعاني والأبعاد الدلالية.. فمن معانيها الشهود، والعظمة، والمقدمة، والحضور والإقامة.

2) الدلالة الاصطلاحية لمفهوم الحضارة في الفكر الغربي والفكر الإسلامي:

أ- في الفكر الغربي:

يعود أصل الكلمة الأوربية(civilisation) إلى الجذر اللاتيني (civilis) بمعنى مدينة (livis) بمعنى ساكن المدينة[3] أو (citizen) بمعنى مدني أو ما يتعلق به المواطن الروماني المتعالي على البربري[4] ولم يشتق منها (civilisation) حتى القرن الثامن عشر، وربما كان أول كاتب استخدمها في كتاب منشور هو المركز دي ميرابو، فهي ترد في كتابه "صديق الرجال أو مقال في السكان" الذي نشر في 1757م[5]، ثم أخذت كلمة الحضارة تأخذ معاني متعددة عبر التاريخ، كاللياقة والرقة والاعتدال وضبط النفس عند الكلام وفي السلوك وفي الفكر أيضا[6].

وبتطور المجتمع الغربي برزت تعريفات لهذا المفهوم متعددة، تختلف فيما بينها تبعا لاختلاف الرؤى الفكرية والفلسفية، وسنعرض بإيجاز جملة من التعريفات ذات اتجاهات مختلفة:

- **التعريف الأول**: "نظام اجتماعي يعين الإنسان على الزيادة في إنتاجه الثقافي"[7].

---

1 - مجمع اللغة العربية. المعجم الوسيط، ص 180، مادة (حضر)

2 - الفيروز، آبادي مجد الدين: القاموس المحيط: ج 2 ص 10.

3 - نصر محمّد عارف. الحضارة –المدنية- الثقافة. ص 33 نقلا عن Edwards , op, cit P : 273

4 -نصر محمّد عارف. الحضارة –المدنية- الثقافة. ص 33 نقلا عن Edwards , op, cit P : 613

5 -نصر محمّد عارف. الحضارة –المدنية- الثقافة. ص 33.

6 - المصدر السابق. ص 34.

7 - ول ديورانت. قصة الحضارة. الجزء 1 نشأة الحضارة. ترجمة: د. زكي نجيب محمود. الطبعة الثانية 1956 القاهرة. ص 3.

- **التعريف الثاني**: "هي ذلك الكيان المعقد الذي يضم المعرفة والمعتقدات، والفنون والآداب، والقوانين والعادات، وجميع القدرات والتقاليد الأخرى التي يكتسبها الإنسان بصفته عضوا في المجتمع" [(1)].
- **التعريف الثالث**: "الحضارة هي التقدم الروحي والمادي للأفراد والجماهير على السواء"[(2)].

ب- مفهوم الحضارة في الفكر العربي الإسلامي:

- التعريف الأول: «هي التفنن في الترف واستجادة أحواله، والكلف بالصنائع التي تؤنق من أصنافه وسائر فنونه، من الصنائع المهيأة للمطابخ، أو الملابس، أو اللباس، أو الفرش، أو الأواني، و لسائر أحوال المنزل، ويلزم هذا التأنق صناعات كثيرة»[(3)].

- التعريف الثاني: «هي ما تعطيه للبشرية من تصورات ومفاهيم ومبادئ وقيم تصلح لقيادة البشرية، وتسمح لها بالنمو والترقي الحقيقيين»[(4)].

وخلاصة القول، بعد أن عرضنا لمعنى الحضارة في اللغة والاصطلاح، سواء على مستوى الفكر العربي الإسلامي، قديما وحديثا أو على مستوى الفكر الغربي، يمكننا أننستخلص الآتي:

- أن الحضارة تعني الإقامة في الحضر، وذلك من خلال التعريفات اللغوية.
- أن ثمة ارتباطا وثيقا بين كل من الثقافة والحضارة، حيث إن لكل حضارة ثقافتهاالخاصة.
- أن هناك بعض التعريفات التي تؤكد على أهمية البعدين الروحي والأخلاقي في الحضارة، في مقابل الجانب المادي.
- أهمية الدور الذي تلعبه الفكرة الدينية في حركة التاريخ البشري.

الفرع الثاني: مقومات الحضارة الغربية:

تقوم الحضارة الغربية على ثلاثة مرتكزات أساسية وهي:

---

1 - قسطنطين زريق. في معركة الحضارة. ط 1. بيروت: دار العلم للملايين، 1964. ص 34

2 - ألبرت أشفيتزر. فلسفة الحضارة. تر: عبد الرحمن بدوي. (د. ط) القاهرة: منتدى مكتبة الإسكندرية،1963م. ص 34.

3 - ابن خلدون. مقدمة. بتعليق الدكتور عبد الواحد وافي ج 2 ص 876.

4 - سيدقطب. المستقبل لهذا الدين. ص 56.

1. **العقلانية:** لقد عرفت العقلانية بأنها" مذهب فلسفي، يرى أن لا يجوز الوثوق إلا بالعقل، بمعنى أن الاختبار غير ممكن، إلا لفكر يملك عقلا، فهو إيمان بالعقل في البينة والبرهان، ولا يجوز التسليم في المذاهب الدينية إلا بما يعترف به العقل، بأنه منطقي، وكافي وفقا للنور الطبيعي"[1]، وقيل: إنها "مذهب فلسفي يرى أن كل ما هو موجود مردود إلى مبادئ عقلية"[2]. فالعقلانية هي: "الإقرار بأولية العقل، وبأن المعرفة تنشأ عن المبادئ العقلية القبلية والضرورية، لا عن التجارب الحسية؛ لأن هذه الأخيرة لا تفيد علما كليا"[3]. فالعقلانية -مما سبق- اتجاه كامل إلى الإيمان بقدرة العقل في الاستدلال والبرهان، مع الاكتفاء به وتحكيمه في كل شيء، "فهي بوجه عام مفهوم يقول بسلطة العقل، ويرد إلى أسباب معقولة"[4]. يقول الشيخ الغزالي: "والحضارة الأوربية الوارثة قادتها أول الأمر نهضة عقلية مادية ناشطة جريئة، وقد نشب بينها وبين النصرانية خصام دام مر"[5]. وهذه الرؤية للعقل جعلت الإنسان الغربي يرى أن العقل مفتاح المعرفة. يقول الشيخ الغزالي: " لو أن الحضارة الحديثة بقيت على الأصول التي عرفت بها من خمسة قرون لأفادت العالم كثيرا واستحقت التقدير والثناء، لأنها من الناحية العقلية احترمت منطق الاستقراء والتجربة والملاحظة"[6]. وهكذا آمن الإنسان الغربي أن العقل هو الذي يمثل المشروعية والمرجعية النهائية في كل نواحي الحياة البشرية من أخلاق، وسياسة واقتصاد، وقضايا دينية وفلسفية. ويعلق الشيخ الغزالي على هذه القداسة للعقل فيقول: "إن الإنسان عقل وقلب، والظن بأن يقظة القلب ما تتم إلا مع خمول الفكر وازدراء الدنيا، خطأ فاحش، وكذلك الظن بأن سيادة العقل ما تتم إلا بتضحية الإيمان وإيحائه خطيئة كبيرة، إن الأعصار الأخيرة شهدت نتاجا، عقليا رائعا نقل العالم من حال إلى حال، وأريد أن أقرر دون تردد أن جهاد العقل الإنساني ومكاسبه التي

---

1 - أندريه لالاند. معجم مصطلحات الفلسفة. ص 1172.

2 - يوسف، كرم وآخرون. المعجم الفلسفي. القاهرة: مطبعة كوستا توماس وشركاه، 1966م. ص 113.

3 - علية، عزت عياد. معجم المصطلحات اللغوية والأدبية. ط1. القاهرة: المكتبة الاكاديمية، 1994م. ص 121.

4 - أندريه لالاند. معجم مصطلحات الفلسفة. ص 1172.

5 - الغزالي، محمد. حصاد الغرور. ص 102.

6 - الغزالي، محمد. الحق المر. ج 3. ص 233.

ظفر بها موضع احترامنا، وأن هذا الجهاد كان قد مضى في طريقه منفردا، لم يستصحب الدين معه، فليس هو الملوم في ذلك"[1].

2. **العلمية**: هي "النزعة القائلة بأن العلم يمكنه حل المسائل كلها، وأن ما لا يمكن للعلم أن يقيسه ويختبره ويتوقعه هو شيء غير موجود"[2]. أخذ العلم التجريبي في الانتشار والتوسع منذ عصر النهضة، وبدأت العقول الغربية تتعلق به أكثر من أي مصدر آخر، وخصوصا بعد أن ظهر لهم، من خلال الاكتشافات العلمية، كمية الأخطاء العلمية الواقعة في الكتاب المقدس والمعتقد الكنسي، وفي آخر القرن السابع عشر وأول القرن الثامن عشر، ظهر إسحاق نيوتن، وبات العلم يحتل مكانة عالية جدا، ويمتلك سطوة بالغة على العقول، وتأثيرا عميقا في النفوس[3]. فالعلم هو المصدر الوحيد للمعرفة، وهو الميزان المتفرد في الحكم على كل الحقائق، وهو المنظار الأوحد الذي يمكنه الكشف عن كل الأسرار في الكون، وهو القاعدة المعتمدة في بناء كل الآراء والمواقف، والشيء الذي لا يمكن كشفه عن طريق العلم، فهو لا حقيقة له ولا وجود، وكل ما خالف العلم، سواء كان من الأمور الدينية أو الفلسفية أو الأخلاقية أو غيرها، فإنه يجب إنكاره والحكم عليه بالبطلان والفساد؛ لكونه خالف المصدر المعرفي المحقق والمنهج العلمي الواعي[4]. فأخذ العلم التجريبي يتوسع في انتشاره، وطفقت العقول الغربية تزداد به هياما، وباكتشافاته غراما، وبنتائجه تعلقا وإعجابا، حتى بلغ الغلو بأطياف منهم في العلم ونتائجه في القرن التاسع عشر مبلغا عظيما، ونهاية غارقة في التمسك به والاعتماد عليه، فقد أصبح العلم المادي في القرن التاسع عشر الإله الجديد، وأضحى هذا القرن يلقب بعصر عبادة العلم، وأمسى رجال العلم التجريبي أنبياء العقول التقدمية، ومنقذي الإنسانية من مصائرها المحزنة[5]. وتشكلت في هذه المرحلة النزعة العلموية، وهي الاتجاه الذي يعتقد

[1] - الغزالي، محمد. ركائز الإيمان بين العقل والقلب. ص 21-22.

[2] - جارودي، روجيه. الأصوليات المعاصرة، أسبابها، ومظاهرها، (د. ط) باريس: دار عام ألفين، 2000م. ص 11-24.

[3] - العميري، عبد الرحمن. ظاهرة نقد الدين في الفكر الغربي الحديث. ط 2. المملكة العربية السعودية: تكوين الدراسات والأبحاث. 2018م. ص 135.

[4] - العميري، عبد الرحمن. ظاهرة نقد الدين في الفكر الغربي الحديث. ص 430.

[5] -المصدر السابق. ص 431-432.

أصحابه أن العلم قادر على الإحاطة بكل الحقائق، وأنه قادر على تقديم الإجابات لكل مشاكل الحياة، وأنه يملك الحلول لجميع المعضلات التي تواجه العقل الإنساني[1].
يقول الشيخ الغزالي: "استطاع العلم في العصر الحديث أن يكشف عن كثير من الحقائق المادية، فكشف الجراثيم الوبائية، وعرف مركز الأرض من الشمس ومن الأجرام السماوية، واستطاع أن يسخر البخار لطي الأرض وقطع البحار، كما كشف الكهرباء واستغلها في الصناعة والتجارة وتيسير سبل الرخاء، وها هو ذا أخيرا يفتت الذرة ويطلق المارد الجبار من عقاله ليسيطر عن طريقه على الأرض والسماوات، وها هو ذا يغزو الفضاء ويحاول الوصول إلى الكواكب واستغلالها لخير الإنسان، وقد دفعته نشوة الانتصار إلى أن يحاول خلق الحياة، هذه النهضة العلمية القوية جعلت كثيرين من الغربيين يؤمنون بالعلم وحده، ويعتقدون أنه الجدير بالعبادة والتقديس، فنادوا: عصر الديانات قد انتهى إلى غير رجعة، وأن البحث فيما وراء الطبيعة عبث في عبث، وأوهام في أوهام، وخيالات تدور في أذهان المرضى أو المنحرفين"[2].

3. **المادية**: وهو المذهب الذي يرجع كل الوجود إلى المادة، وينكر كل ما عداها، ويحصر طرق المعرفة في طريق الحس فقط[3]، وهكذا يذهب هذا المذهب إلى حصر الوجود في الجانب المادي الواقعي فقط، وإرجاع جميع الظواهر المتعددة في الوجود إلى أساس واحد هو المادة، ويلخص **روجيه جارودي**[4] المكونات الأساسية للنزعة المادية فيقول: "تؤكد المادية أولا: أن حوادث العالم هي الأوجه المختلفة للمادة المتحركة، باعتبار أن المادة هي ما هو موجود خارج روحي وخارج كل روح، والتي لا تحتاج لأية روح كلي، ثانيا: أن المادة هي بالتالي الواقع الأول، وليست

1 -العميري، عبد الرحمن. ظاهرة نقد الدين في الفكر الغربي الحديث. ص 432.

2 - الغزالي، مُحَمَّد. الدعوة الإسلامية في القرن الحالي. ص 128-129.

3 - صليبا، جميل. المعجم الفلسفي. لبنان: دار الكتاب اللبناني، 1982م. 306/2.

4 -روجيه جارودي(1913م-2012م): فيلسوف وكاتب فرنسي، اعتنق البروتستانتية في سن 14 عشر، ولكنه أشهر إسلامه إثر ذلك بسنوات في 2 يوليوز 1982م. له مؤلفات كثيرة منها: الإرهاب الغربي، الإسلام دين المستقبل، الإسلام في الغرب، وما هي المادية. انظر: طرابيشي، جورج. معجم الفلاسفة. ص 420. وروجيه، جارودي. لماذا أسلمت؟ نصف قرن من البحث عن الحقيقة. إعداد ودراسة: مُحَمَّد عثمان الخشت. (د. ط. ت) القاهرة: مكتبة القرآن. 9 وما بعدها.

إحساساتنا وفكرنا سوى نتاج هذا الواقع وانعكاساته. ثالثا يمكن للمعرفة المثبتة بالتجربة وبالممارسة العملية أن تنفذ نفاذا تاما إلى العالم وإلى قوانينه"[1]. وهكذا يتلخص هذا المذهب في أن الوجود منحصر في الجانب المادي الواقعي، فقط، وأن المادة سابقة للفكر، وأن الفكر ليس إلا انعكاسا لها، وأن كل ما يحدث في الكون فهو راجع إلى الأسباب المادية فقط. ومن خلال هذه المعطيات يتضح أن الحضارة الغربية تعتبر أن المادية مقوم أساسي من مقوماتها وفي ذلك يقول الشيخ الغزالي "إن الحضارة الغربية المعاصرة تتجه إلى الإيمان بالواقع الحسي الملموس، والميل عن الروحية والمثالية والأفكار المعنوية، فانصرفت عن الدراسات الميتافيزيقية، والسبحات الروحية"[2]. وينتقد الشيخ الغزالي الرؤية المادية للحضارة الغربية التي تزعم أن كل ما يقع في التاريخ من حركات فإن مرجعه إلى الأسباب الاقتصادية ولا مرجع له غيرها[3]، فالمادية حسب الغزالي بهذه الرؤية هي رؤية ضيقة تقصي مجموعة من العوامل الأساسية المؤثرة في حركة التاريخ والمجتمع. حيث يقول: "وما دامت الأسباب الاقتصادية – دون غيرها – هي التي تملي على التاريخ حركته وتسيره حيث يشاء، فلا مجال هناك للاعتراف بإله خالق أو قوة وراء الغيب، توجه البشر إلى مصائرهم بقدرة وإرادة"[4]. هذه باختصار هي المرتكزات الأساسية للبنية التحتية للحضارة الغربية، غير أن الشيخ مُحَمَّد الغزالي يرى أن الحضارة الغربية تأثرت تأثرا بالغا بالحضارة الإسلامية، وهذا التأثر يشهد به مفكرو الغرب أنفسهم "فبعد طغيان الجاهلية على العالم كان العرب هم المحافظون على حقوق الفكر والثقافة "[5]. يقول الشيخ الغزالي وهو يوضح فضل العرب على حضارة الغرب "إنه لولا الإسلام لبقيت أوروبا كما عاشت خمسة عشر قرنا لا تحسن شيئا ألبتة من دين الله ولا من دنيا الناس. إن الأصول العقلية والنفسية للحضارة الحديثة لم تنبت من داخل

---

1 - جارودي، روجيه. النظرية المادية في المعرفة. (د. ط. ت) دمشق: دار دمشق. ص 5-6.

2 - الغزالي، مُحَمَّد. الدعوة الإسلامية في القرن الحالي. ص 127.

3 - الغزالي، مُحَمَّد. الإسلام في وجه الزحف الأحمر. ص 44.

4 -الغزالي، مُحَمَّد. الإسلام في وجه الزحف الأحمر. ص 44.

5 -هازار، بول. أزمة الوعي الأوروبي. (د. ط. ت) تر: يوسف عاصي. لبنان: المنظمة العربية للترجمة. ص 31-32

أوروبا. لقد كانت الحضارة العربية لأوروبا كمواد الخصب ولجج الماء العذب بالنسبة للصحراء كي تزدهر وتنتج"[1].

إن الحضارة العربية كان لها تأثير قوي في نهضة أوروبا، فقد ظلت هذه الأخيرة قرونا طويلة وهي تعيش في سبات عميق حتى جاء العرب، وكانوا بمثابة الموقظ والمنبه الأول، لحركة البعث العلمي والفكري، الذي شهدته أوروبا، ولكن هذه الأخيرة طورت إمكانياتها، وأبدعت في مجالات متعددة، فقدمت للإنسانية إنجازات ضخمة، وخاصة في الجانب المادي.

الفرع الثالث: خصائص الحضارة الغربية:

تتميز الحضارة الغربية بمجموعة من الخصائص وهي كالتالي:

1. **الإشعاع العالمي أو عالميتها المركزية:** إن الظاهرة الواضحة للعيان، والتي لا تحتاج إلى كبير تأمل، هي عالمية الحضارة الغربية " التي تطرد بدافع من قوتها الخاصة، وفي تطور الشعوب التي تعيش على المحور الآخر"[2]. وهكذا بواسطة العامل التكنولوجي، استطاعت الحضارة الغربية أن تنتشر في العالم وتنشر أفكارها، ومواقفها وطرق تفكيرها[3]. يقول الشيخ الغزالي: "إن الحضارة الحديثة قامت على صناعات دقيقة قد ترى آلاتها بالمجهر، وقد تكون آلاتها الضخمة قائمة على علاقات بالغة الدقة، والنجاح في تصريف هذه الآلات يتطلب اللطافة واللباقة والأناة والحذر، ويستحيل أن يهدى إليه الهجّامون على الحياة بغباء، أو المتقلبون في شؤونها باستهانة، أو عبيد أطماعهم بعمى"[4]. وخلال منتصف القرن الأخير كانت أهم مظاهر انتشار الغرب متمثلة في انتشار الطرق الحديثة، وخطوط السكك الحديدية وظهور المصانع والمعامل الميكانيكية، وطرق الإعلام الغربية ثم التبني

[1] - الغزالي، محمّد. كفاح دين. ص 78.

[2] - ابن نبي، مالك. فكرة الإفريقية الآسيوية في ضوء مؤتمر باندونغ. ط 3. تر: عبد الصبور شاهين. دمشق: دار الفكر، 2001م. ص 178.

[3] - ابن نبي، مالك. الظاهرة الغربية في الوعي الحضاري أنموذج مالك بن نبي. ط 1. قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1999م. ص 110.

[4] - الغزالي، محمّد. الحق المر. ج 4. ص 174.

المتحمس للتكنولوجيا الغربية في كل دول العالم[1]. وبدأ إقبال الآخر على تقمص الشخصية الأوربية في دقائقها وجزئياتها، وزين دعاة التغريب والفكر في الأمة الإسلامية "الذوبان في الحضارة الغربية وخيرها وشرها حلوها ومرها"[2]. أما في الميدان الفكري فإن الحضارة الغربية قد فرضت نفسها على العالم كله، وقد تبنت معظم الشعوب نموذج أوربا كليا أو معدلا، فسادت مفاهيم الغرب ونظرياته المختلفة في العلم والسياسة والاقتصاد، بحيث صارت وكأنها قانون العصر الذي لا محيد عنه، فصار العلم ما يراه ذلك النموذج الأوربي علما، والمنهج ما يراه ذلك النموذج منهجا، أما ما خرج عن ذلك فيمكن أن ينبز بأي شيء فيمكن أن يعتبر خرافة أو شيئا ناقصا[3]. وينتقد الشيخ الغزالي عالمية الحضارة الغربية، فهي رغم قوتها وصلابتها فإنها تعيش قطيعة بين علمها وروحها وقيمها، وهذا هو مكمن ضعفها، حيث يقول: "والواقع إن الحضارة الحديثة بقدر ما أحرزت من تقدم علمي خضعت لمختلف الشهوات، فشرعت تنحدر وتناوشها العلل والأسقام"[4].

2. **المادية:** تعتبر المادية من أهم خصائص الحضارة الغربية، وذلك ضمن مستويات مختلفة؛ سواء في الميدان العلمي، أو في الحياة الاجتماعية التي يظهر فيها سلوك الفرد الغربي، أو في التعبير السياسي، أو حتى في سياق التعامل الحضاري مع بقية الحضارات[5]. يقول الشيخ الغزالي: "لا يختلف أحد مع نفسه، أن العصر الذي نعيش فيه عصر طغيان المادة واستحكام أمرها، وسيطرة نوازعها الطيبة والخبيثة، على تقاليد الحياة وقوانينها، ونعني بالمادة.. جحود ما وراء عالمنا المحسوس، من حياة أخرى"[6]. وكان يغذي هذا الاتجاه المادي عاملان: سرعة النمو العلمي، والتوسع الاستعماري، وقد تحالف هذان العاملان ليصبحا قدرا مكتوبا على أوربا.. وكان من

[1] - ابن نبي، مالك. الظاهرة الغربية في الوعي الحضاري أنموذج مالك بن نبي. ص 110.
[2] - الغزالي، مُحَمَّد. حقيقة القومية العربية. وأسطورة البعث العربي. ص 148.
[3] -العلواني، طه جابر. إشكالية التحيز رؤية معرفية ودعوة للاجتهاد. ط 2. الولايات المتحدة الأمريكية- فيرجينيا: المعهد العلمي للفكر الإسلامي، 1996م. ص 4.
[4] - الغزالي، مُحَمَّد. الحق المر. ج 5. ص 14.
[5] - ابن نبي، مالك. الظاهرة الغربية في الوعي الحضاري أنموذج مالك بن نبي. ص 126.
[6] - الغزالي، مُحَمَّد. الإسلام المفترى عليه بين الشيوعيين والمفترين. ص 24.

شأن هذين التأثيرين أن انزلقت أوربا في حمأة المادية[1]. وينتقد الشيخ الغزالي مادية الحضارة الغربية باعتبارها نزعت القداسة عن الكون والدين والنفوس والأخلاق. يقول الشيخ الغزالي: "إن المادية القائمة على نوازع الأثرة وقوانين المنفعة، وانتهاز اللذائذ واشترائها بأي ثمن، قد كسبت المعركة ضد الأديان، دون أن تجد أمامها مقاومة تذكر"[2]. فكان من نتائج ذلك انتشار الإلحاد، والإباحية والعلمانية، والقلق والضيق. يقول الشيخ الغزالي: "ومع هذا السبق البعيد؛ فإن الحضارة الحديثة لا تزال واقفة عند العصر الحجري في ضبط الغرائز، وترويض الحيوان الرابض داخل الجسم البشري، وكبح الأثرة المسعورة، وجعل المرء يحب غيره ويغار على حقوقه، أو على الأقل يعدل مع غيره، ويعترف له بحقوقه طوعا لا كرها، وقبل ذلك فشلت هذه الحضارة في التعرف على رب العالمين، وتأسيس علاقة صحيحة معه تقوم على توقيره وتقديره، والشعور بعظمته، والتسبيح بحمده، والتعويل عليه في الأزمات، والاطمئنان إليه في المخاوف"[3]. وهكذا اتسع علم الحضارة الغربية ولكن مات أدبها، وقصرت تربيتها، وساءت أخلاقها وكثرت عللها وأمراضها.

3. **الفعالية**: تعد الفعالية إحدى خصائص الحضارة الغربية، وهذه الخاصية اكتسبها الإنسان الغربي "على المستويين الفردي والاجتماعي، وصارت تصبغ كل أفعاله وإنجازاته في إطار التاريخ"[4]. ويرى الشيخ الغزالي أن المجتمع الغربي يتميز بالفعالية ويطبع بها كل جهوده وسلوكه، ويمكن ملاحظة ذلك من خلال مشاهدة المؤسسات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، حيث يقول:" إن الجماهير في الغرب كالنحل في خلاياها، لا تهدأ لهم حركة ولا يسكن لهم مطمع ولا يضعف لهم إنتاج، والدول كبراها وصغراها تحشد رعاياها في مشروع ضخم لا يكادون يخلصون منه حتى يشغلهم آخر أضخم منه"[5]. وهذه الفعالية هي التي دفعت الإنسان الغربي إلى كتاب الكون المفتوح تقرأ سطوره، وتبحث عن أسراره، وتعتكف على دراسة جزئياته،

---

[1] - ابن نبي، مالك. وجهة العالم الإسلامي. ص 126-127.
[2] - الغزالي، مُحَمَّد. الإسلام المفترى عليه بين الشيوعيين والمفترين. ص 26.
[3] - الغزالي، مُحَمَّد. مائة سؤال عن الإسلام. ص 445-446.
[4] -بن نبي، مالك. الظاهرة الغربية في الوعي الحضاري أنموذج مالك بن نبي. ص 139.
[5] - الغزالي، مُحَمَّد. من معالم الحق في كفاحنا الإسلامي الحديث. ص 152.

ودقائقه. يقول الشيخ الغزالي: " على حين عكف غيرهم على دراسة الكون، وإدمان الفكر في ظاهره وباطنه حتى وصل بآلاته إلى القمر"[(1)]. ويرى الشيخ الغزالي أن سر هذه الفعالية تكمن في الإخلاص للمبادئ التي أسسوها وقرروا العيش في ظلالها، حيث "أصبح القيام بالواجب طبيعة فيهم لا تستريح ضمائرهم إلا في ظله"[(2)].

4. **العلمانية**: إن الحضارة الغربية هي نزعة علمانية بشكل أساسي، "فبعد أن كان الغرب يستند إلى الدين في حكمه ومجتمعه، تغيرت الوجهة، فالدين في الغرب الحديث ضعفت أهميته بعد أن آلت هذه الوظيفة للعلم، وأضحى له الغلبة أكثر فأكثر، وأبدلت الحجج والأسانيد الدينية بحجج سياسية وأيديولوجية وعلمية"[(3)]. لقد تم إبعاد الدين عن الحياة، وأصبحت السلطة للعقل والعلم، فالحضارة العلمانية الجديدة، وهي نهضة انبجست ينابيعها من العقل المجرد والفكر الحر، لا تزال تكتشف وتنتج في كل ميدان، "غير مستعينة في مغامراتها بدين، ولا مستهدية بنص"[(4)]. لقد أسست الحضارة الغربية بيانها على الفصل التام بين المعرفة والمجتمع والدين، وكما يقول **برنارلد لويس**[(5)]: "إن خضوع كل من الدولة والعلم للسيطرة الدينية، أيا كان هذا الدين هو أمر لا يتواءم مع الحضارة الغربية، وخصائصها المميزة في الحداثة"[(6)]. ونفس الرؤية يتبناها الشيخ مُحَمَّد الغزالي، فالحضارة الغربية "لم تبدأ نهضتها الكبرى،

---

[1] - الغزالي، مُحَمَّد. الإسلام والطاقات المعطلة. ص 83.

[2] - الغزالي، مُحَمَّد. ظلام من الغرب. ص 182.

[3] -بيورن، فيتروك. حداثة أم لا حداثة أم حداثات عدة؟ الأصول الأوربية والحداثة كشرط عالمي. تر: مُحَمَّد يونس. الكويت: الثقافة العالمية نشر المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. عدد 103 شتنبر 2000م. ص 81.

[4] - الغزالي، مُحَمَّد. من معالم الحق في كفاحنا الإسلامي الحديث. ص 55.

[5] -برنارد لويس: هو مستشرق يهودي ولد في لندن في مايو 1916م، أستاذ فخري بريطاني أمريكي، تخصص في تاريخ الإسلام والتفاعل بين الإسلام والغرب. ومن أهم مؤلفاته: الاستشراق والاتجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي، أزمة الإسلام الحرب الأقدس والإرهاب المدني، الإسلام الأصولي. انظر: الجوجري، عادل. برنارد لويس سياف الشرق الأوسط ومهندس سايس بيكو 2. (د. ط) القاهرة: دار الكتاب العربي. ص 20-22. وطه، زاهدة. منهج المستشرق برنارد لويس في دراسة مفهوم الثورة في الإسلام. مجلة جامعة النجاح للأبحاث العلوم الإنسانية. م 29- ع 10. 2015. ص 1881.

[6] - برنارد لويس. الغرب والشرق الأوسط سجال وتباين. ط 1. تر: سمير مرقس. تقديم: السيد يس. القاهرة: مريت للنشر والمعلوميات، 1999م. ص 32.

وتذرع طريق القوة والنجاح إلا بعد ما حسمت صلاتها بالكنيسة وفصلت الدين عن الدولة وعن العلم وعن الاقتصاد وعن التقاليد وعن بقية شؤون الحياة"[1]. وهكذا أصبحت العلمانية تتسم في الحضارة الغربية بالشمول لكل مجالات الحياة، وهي تتلخص في: "نزع التقديس، عن سطح العالم والتاريخ، ثم تراجع الألوهة عن وجه الأرض، وهذا يعني: أن ما كان البشر يعتقدونه مقدسا ودينا طيلة العصور الوسطى، قد رد إلى حالته الطبيعية، وعري من هالات التقديس، وأصبح يبدو على حقيقته أي: ماديا صرفا"[2]. وصدق الشيخ الغزالي حينما قال: "جاءت العلمانية أخيرا فكانت ثالثة الأثافي؛ بعد القومية والاشتراكية، ففي ظلها هان الإيمان، وسقطت قيم خطيرة"[3].

المطلب الثاني: مواطن القوة والضعف في الحضارة الغربية:

إن للحضارة الغربية إنجازات ضخمة، كانت لها نتائج جد إيجابية على الإنسانية، ولكن رغم هذه القوة فإنها تعاني من نقط ضعف كثيرة.

الفرع الأول: مواطن القوة والتميز في الحضارة الغربية:

إن الحضارة الغربية الحديثة حققت إنجازات عديدة يمكن أن نذكر منها ما يلي:

1. **تطور العقلية النقدية والعلمية**، ومن ثم المقدرات الإبداعية، فأوربا لم تحسن المسير في مضمار الحضارة حتى فصلت العلم والحكم والاقتصاد عن الكنيسة. يقول الشيخ الغزالي: "كانت الكنيسة قد حكمت على العقل بالسجن المؤبد ونفذت حكمها، وكانت قد حكمت أيضا على التسامح بالعقوبة نفسها ونفذت حكمها"[4]. ولو بقيت مرتبطة بها لظلت أوروبا على أحوالها القديمة من الجحود والتخلف. يقول الشيخ الغزالي: "وعلى العكس في أوروبا فإنها لم تبدأ نهضتها الكبرى، وتذرع طريق القوة والنجاح إلا بعد ما حسمت صلاتها بالكنيسة، وفصلت الدين عن الدولة وعن

1 - الغزالي، مُحَمَّد. من معالم الحق في كفاحنا الإسلامي الحديث. ص 63.
2 - مُحَمَّد محمود سيد أحمد طه نور. أعداء الحداثة. 80-81.
3 - الغزالي، مُحَمَّد. الحق المر. ج 2. ص 290.
4 - الغزالي، مُحَمَّد. حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة. ص 8.

العلم، وعن الاقتصاد، وعن التقاليد، وعن بقية شؤون الحياة"[1]. ويقول أيضا: "أشهد أن العقل الغربي أنظف جدا من الضمير الغربي، لقد اقتبس فأحسن، وقلد فأجاد، ثم أنمى وابتكر، واستكشف فبهر"[2]. لقد امتلكت الحضارة الغربية نتيجة العناية بالعلم، والاهتداء بالعقل، زمام الأمور في أرجاء الأرض كلها. يقول الشيخ الغزالي: "والحضارة الأوروبية الوارثة قادتها أول الأمر نهضة عقلية مادية ناشطة جريئة، وقد نشب بينها وبين النصرانية خصام دام مر"[3]. وهكذا أصبحت الحضارة الغربية بشقيها "الرأسمالي والشيوعي تقود عالمنا المعاصر، وتنفرد بزمامه، وهذه حضارة نجحت نجاحا ملحوظا في اكتشاف الكثير من قوى الكون، وجعله طوع بنان الإنسان، يرفه به نفسه إذا شاء، وما أحسب الإنسان على طول تاريخه بلغ ما بلغه اليوم من سيادة وتمكين في البر والبحر والجو" [4]. غير أن الشيخ الغزالي يرى أن هذا التقدم العلمي والإبداع الفكري ما لم يصاحبه دين ولا إيمان قوي، سيتخذ مسارا منحرفا، وفي ذلك يقول: "وهناك الحضارة العلمانية الجديدة، وهي نهضة انبجست ينابيعها من العقل المجرد والفكر الحر، ولا تزال تكتشف وتنتج في كل ميدان، غير مستعينة في مغامراتها بدين، ولا مستهدية بنص"[5].

2. **القوة المادية والتقنية:** إن الحضارة الغربية الحديثة هي نتاج تقدم علمي باهر، وصل إليه الإنسان بعد قرون من البحث المضني والتجارب الغالية، ولم يكن عجبا أن يستغل الإنسان كشوفه لأسرار الكون وقواه الخفية في ترقية معايشه، بل إن ذلك أقرب إلى الحكمة من استغلال هذه الكشوف في تدمير الحضارة الغربية نفسها، وتيسير الانتحار الجماعي على الناس، وأحسب أن التقدم الصناعي العام وفر للجماهير متعا ما كان يحصل عليها الملوك الأقدمون[6]. يقول الشيخ الغزالي: "إن الارتقاء البشري في العالم جعل الإدارة فنا رفيع الأداء، ومكن الأخصائيين –بحسن

[1] - الغزالي، محمد. من معالم الحق في كفاحنا الإسلامي الحديث. ص63.
[2] - الغزالي، محمد. في موكب الدعوة. ص 10.
[3] - الغزالي، محمد. حصاد الغرور. ص 102.
[4] - الغزالي، محمد. الغزو الثقافي يمتد في فراغنا. ص 22.
[5] -الغزالي، محمد. من معالم الحق في كفاحنا الإسلامي الحديث. ص 55.
[6] - الغزالي، محمد. مائة سؤال عن الإسلام. ص 125.

النظام – أن يختصروا أوقاتا وأعمالا كثيرة، وأن ينجزوا في ساعات ما ننجزه نحن في أيام، وأن يضبطوا مفاهيم كانت رجراجة، ويبثوا في قضايا كانت معلقة"[1]. لقد اكتشفت الحضارة الغربية الحديثة كثيرا من قوى الكون وأسراره "ولها الآن حصيلة كبيرة في علوم الذرة والفضاء، والإلكترونيات والكومبيوتر، وقد نقلت آثار ذلك إلى تفوق مدني وعسكري، في البر والبحر والجو"[2]. وهكذا وفرت الحضارة الغربية للإنسان جميع وسائل الراحة والترفيه والرقي.

3. **احترام حقوق الإنسان:** إن الحضارة الحديثة بلغت شأنا عظيما في احترام الفرد واحترام حقوقه. يقول الشيخ الغزالي: " فقد رفضت الوثنيات السياسية والكهانات الدينية، واعتبرت الحكام أجراء لدى الشعوب، وأن المناصب العامة أمانات مسؤولة، ومشت في هذا الدرب، حتى أقرت أخيرا مواثيق حقوق الإنسان، وهيئة الأمم ومجلس الأمن"[3]. وفي ظل احترام الحقوق تنمو المواهب والملكات وتكتمل الشخصية، وتصان الحريات.

4. **تحقيق الديمقراطية:** لقد تفوق الغرب من النواحي السياسية والتشريعية، يقول الشيخ الغزالي: "وإنني أغبط أسرة الدول الأوروبية الغربية على اختفاء المستبد في ربوعها، وعلى استقرار المجالس التشريعية، وتنفس كل إنسان في جو من الحريات الموطدة وتنافس الملكات الذكية في الخدمات العامة"[4]. ويرى الشيخ الغزالي أن الديمقراطية من أحسن الوسائل التي توصل إليها الغرب في مجال نظام الحكم، باعتبارها تقوم على الحرية والحق والكرامة والمساواة. حيث يقول: "أرمق الديمقراطية الغربية فأحسد أصحابها على مناقشة الآراء بحرية، وعلى استكانة الحكام للحق، وعلى اعتزاز الأفراد بكراماتهم، وكنت أهمس لنفسي: أما يجيء يوم يظفر به المسلمون بمثل هذه النعمة؟"[5]

---

[1] - الغزالي، مُحَمَّد. الغزو الثقافي يمتد في فراغنا. ص 42.

[2] - الغزالي، مُحَمَّد. مائة سؤال عن الإسلام. ص 445.

[3] - الغزالي، مُحَمَّد. الحق المر. ج3. ص 233.

[4] - الغزالي، مُحَمَّد. الغزو الثقافي يمتد في فراغنا. ص 28.

[5] -المصدر السابق. ص 43.

الفرع الثاني: سلبيات الحضارة الغربية:

1. **الاستعمار**: لقد قامت حضارة الاستعمار الغربي، على استغلال خيرات بلدان العالم الثالث، ومنها العالم الإسلامي. يقول **عبد الوهاب المسيري**[1] "ولعل من أهم أسباب نجاح النموذج الحضاري الغربي هو الإمبريالية الغربية التي حققت مستوى معيشيا مرتفعا للإنسان الغربي، ومكنته من تشييد بنية تحتية مادية قوية، كما أنها ساعدته على تصدير مشاكله الاجتماعية والمادية إلى الشرق"[2]، وهذا النص يلخص لنا فيه المسيري سر نجاح الحضارة الغربية الذي حركته مبررات فكرية واقتصادية وسياسية باسم رسالة الإنسان الأبيض الأعلى، الذي يحق له امتلاك كل شيء، والإنسان الأدنى الذي لا بد أن يكون تابعا خاضعا له. حيث يقول الشيخ مُحَمَّد الغزالي: "ونظرة أخرى إلى الاستعمار الغربي الآثم.. لقد جثم على مساحات فيحاء من "إفريقيا" وبقي أعصارا طوالا يعب من خيراتها وينهب ثرواتها الظاهرة والباطنة، ويتخذ النصرانية ستارا لأطماعه، فماذا جنى من هذا المسلك؟ لقد اغتنت أوروبا من المال الحرام، وجبيت إليها ثمرات كل شيء"[3]. وهذا ما يعطي مشروعية للتحرك نحو استعمار الشعوب الأخرى، ومن هنا اتجه الغرب لنهب خيرات العالم واستعباد شعوبه، ونفس الرؤية التي طرحها المسيري يتبناها الشيخ الغزالي حيث يقول: "وقد انطبع الاستعمار العالمي بهذا الطابع الأسود من قديم العصور، واحمرت جوانب التاريخ البشري بدماء الضحايا المسفوكة، إشباعا للغرائز الخسيسة، والمظالم الفادحة، ولم تتورع الحضارة الغربية الأخيرة – برغم تقدمها العلمي الهائل- عن الانزلاق في هذا المنحدر الدنيء، بل لعلها فاقت من قبلها في هذا المضمار، فهي تقاتل الشعوب المتطلعة إلى حريتها، وتجتهد في حرمانها، من

---

[1] -عبد الوهاب المسيري: هو مفكر عربي إسلامي، ولد بدمنهور سنة 1938م، تلقى تعليمه الابتدائي والثانوي بها، ثم التحق سنة1955م بقسم اللغة الإنجليزية بكلية الآداب جامعة الإسكندرية. حصل على الدكتوراه بالولايات المتحدة سنة 1969م، من مؤلفاته: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، والعلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة، والحداثة وما بعد الحداثة. انظر: المسيري، عبد الوهاب. رحلتي الفكرية، في البذور والجذور والثمر. ط1. القاهرة: مطبوعات الهيئة العامة لقصور الثقافة، 2000م. ومقدمة كتاب. موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية. ط 1. القاهرة: دار الشروق: 1999م، 18/1-19.

[2] - المسيري، عبد الوهاب. دراسات معرفية في الحداثة الغربية. ص 87.

[3] - الغزالي، مُحَمَّد. ركائز الإيمان بين العقل والقلب. ص 28.

أسباب العلم والقوة والنهوض، وقد أبادت أجناسا في كثير من البلاد المنكودة الحظ التي سقطت في يدها.. وهي لا تريد إلا جعل المستعمرات الشاسعة، التي تضم أكثر من نصف البشر، حقول استغلال، ثم اتخاذ أهلها خدما، يعملون لغيرهم، ويكدحون لسادتهم المتطفلين الدخلاء"[1]. وهكذا يبقى الاستعمار نقطة سوداء في تاريخ الحضارة الغربية، باعتباره وباء دمر بلدان العالم الثالث، ومنها العالم الإسلامي ولا زالت تداعياته مستمرة إلى يومنا هذا. يقول الشيخ الغزالي: "ولذلك كان الاستعمار العالمي ولا يزال سبة في وجه هذه الحضارة"[2].

2. **النزعة العدوانية:** إن العدوانية هي مسألة جوهرية في الحضارة الغربية، وليست مجرد مسألة عرضية فقد تحققت على مستوى الواقع في التجربة الإمبريالية، وفي الإبادة النازية والصهيونية والشيوعية.. يقول عبد الوهاب المسيري: "وقد قام الإنسان الغربي بعملية الإبادة النازية وغيرها من عمليات الإبادة لا على الرغم من حضارته الغربية وحداثته، وإنما بسببها"[3]. ويرى المسيري أنّ المفكّرين والفلاسفة الغربيين قد وضعوا الإطار العام الذي يدعم توجّهم الإمبريالي فقد بيّن بنتام[4] أنّ أخلاق الإنسان مرتبطة بدوافعه وغرائزه.. وبيّن داروين[5] وفرويد[6] أنّ الإنسان يحوي

---

1 - الغزالي، محمّد. الإسلام والأوضاع الاقتصادية. ص 73.

2 - الغزالي، محمّد. الغزو الثقافي يمتد في فراغنا. ص 29.

3 - المسيري، عبد الوهاب. الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان. ط 2. بيروت: دار الفكر المعاصر، 2007م ص 197.

4 -جرمي، بنتام: (1748م-1831م): متشرع وفيلسوف، وعالم اقتصاد إنكليزي، كان لمحاولاته حل المشكلات الاجتماعية بطريقة علمية أثر كبير في الفكر الإصلاحي في القرن 19. تعرف فلسفته ب، "البنثامية" وخلاصتها أن المتعة هي غاية الحياة الأساسية، وأن هدف القانون هو تحقيق أكبر قدر من السعادة لأكبر عدد من الناس، أشهر مؤلفاته: "مقدمة لمبادئ الأخلاق والتشريع. انظر: البعلبكي، منير. معجم أعلام المورد. ص 112. وطرابيشي، جورج. معجم الفلاسفة. ص 194.

5 -تشارلز، داروين: (1809م) حصل على التعليم في مدارس الطبقة المتوسطة، ثم التحق بالجامعة ليتخرج منها طبيبا، لكنه كف عن التحصيل، ثم انتقل إلى جامعة كمبردج كي يخرج قسيسا، ثم كف عن ذلك لينتقل إلى هوايته وهي دراسة الحيوان والنبات. ومن أشهر مؤلفاته: أصل الأنواع، وأصل الإنسان، والتعبير العاطفي. انظر: سلامة، موسى. نظرية التطور وأصل الإنسان. مصر: مؤسسة هنداوي للتعليم الثقافي،2012. ص 221-223. والمدرسي، السيد المدرسي. تهافت النظرية الدارونية وسقوط النظريات التابعة. ط 1. بيروت: دار العلوم للنشر والتوزيع، 2011م. ص 11-45.

6 -سيغموند، فرويد: (1856م-1939م): طبيب أمراض عصبية، نمساوي، أسس طريقة التحليل النفسي، وأكد على أثر اللاوعي، والغريزة الجنسية، في تكوين الشخصية، أشهر آثاره: دراسات في الهستيريا، وتأويل الأحلام. انظر: البعلبكي،

الذئب داخله وخارجه، وذاته المتحضرة إن هي إلا قشرة واهية تخبئ ظلمة تمور داخل الإنسان ومن حوله[1].

3. إن إبادة الآخر هي السمة المشتركة عند الشعوب الغربية فهي ليست سمة خاصة بدولة فقط، وإنما هي تجل للرؤية المادية التي تأسس عليها الغرب، وقد نتج عن هذه الرؤية استعباد الشعوب، وإبادة الملايين من البشر. وفي ذلك يقول الشيخ الغزالي: "أما الجنس الأبيض وطلائعه الغازية والمكتشفة، فقد كانوا يعبدون أنفسهم، ويقدسون مصالحهم، ولا تحكمهم إلا شرعة الغاب"[2]. وهكذا يبدو واضحا أن الوحشية والقسوة التي اقترنت بزحف التتار والرومان"لم تفارق الاستعمار الغربي الجديد، غاية ما تبدل أن الغزاة المحدثين نظموا وسائل السطو وزينوها، وخدروا مواضع الألم بقدر كبير من المباذل والشهوات الوضعية"[3].

4. وهكذا يتضح أن الحضارة الغربية تحمل في جيناتها نزعة الاستعلاء والعدوانية والإبادة، وينتقد الشيخ الغزالي هذا السلوك البدائي الذي ينتهجه الغرب مع الآخر، وبالتالي يرى "أن هذه الحضارة ليست على مستوى الاحترام الذي تطلبه لنفسها، أو يطالبه لها عشاقها، أبادت في صمت، ولا تزال تبيد أجناسا بشرية ضعيفة"[4]. وما هجوم الغرب على العراق وأفغانستان والبوسنة... إلا دليل على ذلك.

5. **النزعة الاستهلاكية:** إن الحضارة الغربية تحولت مع تصاعد النزعة المادية إلى "استعمار النفس البشرية بدل استعمار أراضي الآخر، وذلك عن طريق نشر الاستهلاكية بشتى الوسائل وفتح سوق استهلاكية عالمية، يشترك فيها العالم المتقدم والعالم المتخلف"[5]. وهكذا أصبحت النزعة الاستهلاكية مأساة العالم الغربي بالخصوص، لما لها من انعكاسات خطيرة على الفرد والمجتمع "فأهم أثر هو تحول الإنسان ذاته إلى

منير. معجم أعلام المورد. ص 322. ومصالحة، زيادة. فرويد ونظرية التحليل النفسي. (د. ط). الرسالة معهد إعداد المعلمين. كلية بيت بيرل، 1998م. ص 175.

[1] - المسيري، عبد الوهاب. دراسات معرفية في الحداثة الغربية. ط 1. القاهرة: مكتبة الشروق، 2006م. ص 28.

[2] - الغزالي، مُحَمَّد. مائة سؤال عن الإسلام. ص 196.

[3] - الغزالي، مُحَمَّد. الحق المر. ج 2. ص 308.

[4] - الغزالي، مُحَمَّد. الغزو الثقافي يمتد في فراغنا. ص 28.

[5] - المسيري، عبد الوهاب. دراسات معرفية في الحداثة الغربية. ص 44.

سوق بلا قرار يمكن أن تلقى فيه السلع والمزيد من السلع، وكلما زادت عجلة الإنتاج في الدوران وقف الإنسان، لا في مركز الكون كما هو الحال في الفلسفات الإنسانية، وإنما مثل الثقوب السوداء في الفضاء التي تمتص كل شيء وينعدم فيها الزمان والمكان"[1]. وهكذا أصبح الإنسان الغربي أسير النزعة الاستهلاكية، لا يستطيع التخلص منها. يقول الشيخ الغزالي: "الدنيا الآن تسير بقوة جارفة إلى غير غاية، وهي مشغولة أعظم الشغل بالوقود الذي تستهلكه في هذا السير من الغذاء، وكساء، ومتاع، وشهوة، وذهب، وفضة، وما يستتبعه الحصول على هذا الوقود، من خصام وسلام، واغتيال واحتيال، وانقسام وانسجام"[2]. ولقد أصبحت النزعة الاستهلاكية سمة العصر في الغرب، وغدا الإنسان الغربي معلقا قلبه بجنة الدنيا، ولا تعنيه جنة الآخرة. يقول الشيخ الغزالي: "والناس يمشون وراء أهوائهم وحدها، سوادهم الأعظم يعرف الأرض وينكر السماء، ويريد جنة هنا ولا تعنيه جنة في عالم الغيب"[3].

6. **الإباحية:** إن الحضارة الغربية تعيش في كهف علماني مادي، لا يولي أهمية كبيرة للدين والأخلاق، وكان نتيجة ذلك أن تفوق ماديا، ولكنه تراجع روحيا وأخلاقيا. إن الحضارة الغربية كما يقول الشيخ الغزالي لما عجزت عن التسامي بالغرائز السفلى-استنامت لها، وهامت فيها، وقررت إطلاق زمامها، لتعربد كيف تشاء، وعندي- هذا الارتكاس الروحاني، يفوت ثمرات التقدم العلمي كلها، فخير للناس أن يمشوا على الأرض وهم أطهار، من أن يطيروا في الجو وهم لصوص، وخير للأرض أن تكون معابد مضيئة بالشموع، من أن تكون مراقص مضاءة بالكهرباء.. إن المادية القائمة على نوازع الأثرة وقوانين المنفعة، وانتهاز اللذائذ واشترائها بأي ثمن، قد كسبت المعركة ضد الأديان، دون أن تجد أمامها مقاومة تذكر[4]. وهكذا دفعت المادية الإنسان الغربي إلى عالم الإباحية وعالم المدنس. يقول الشيخ الغزالي: "والواقع أن

[1] -المصدر السابق. ص 43.

[2] -الغزالي، محمد. الإسلام المفترى عليه بين الشيوعيين والرأسماليين. ص 24.

[3] - الغزالي، محمد. الغزو الثقافي يمتد في فراغنا. ص 29.

[4] - الغزالي، محمد. الإسلام المفترى عليه بين الشيوعيين والرأسماليين. ص 26. بتصرف

الحضارة الحديثة بقدر ما أحرزت من تقدم علمي، خضعت لمختلف الشهوات فشرعت تنحدر وتناوشها العلل والأسقام"[1]. وهو بهذا الأسلوب يسقط الإنسان الغربي "كل القيم التي تعبر عن خصوصية تركيبته وتفرده أي إنسانيته، ويتحرك في عالم السطح وحسب، ويتشيأ ويُشَيّء الآخر في ذات الوقت"[2]. وهكذا فإن الرغبات الجنسية "قد انفلتت من عقالها، وبدلا من أن تحرر الإنسان حيدته ثم استعبدته، فانتشرت الإباحية، وتم "تطبيعها" بشكل لم يعرفه المجتمع الغربي من قبل، فكأن الهدف من الإباحية لم يكن إرضاء الشهوات وإنما اختزال الإنسان إلى جسد، فالتعرية تبدأ بالجسد وتنتهي بتعرية الإنسان من تركيبته وإنسانيته، لكل هذا ينظر للجنس بطريقة محايدة للغاية وكأنه نشاط بيولوجي منفصل عن القيمة"[3]. وهكذا حقر الجنس الأبيض الذي يقود هذه الحضارة الإنسانية، كلها وأصبحت جرائم الاغتصاب والسطو والضياع والدنس الشاذ تزيد ولا تتراجع[4]. واختلت الموازين فأصبحت "الفوضى تسمى حرية والعلاقات الجنسية المنكورة تسمى حبا أو صداقة"[5]. فأصبح الإنسان الغربي سجين شهواته ولذاته وغرائزه، وقد اعتبر الشيخ الغزالي هذا الوضع مأساويا ويشكل نكسة بالنسبة للإنسان المعاصر، ولا يبشر بخير، وفي ذلك يقول: "المأساة أن هؤلاء المتحضرين ارتقوا علميا وهبطوا خلقيا، وأنهم عبيد لذاتهم العاجلة، وأن الفكرة عن يوم الدينونة غامضة أو معدومة لديهم"[6]. إن الحضارة الغربية اتسع علمها وطوعت ما بلغته إلى تقدم صناعي وتقني باهر، طفر بالإنسانية طفرة عظيمة في جميع المجالات، ولكن هذا التقدم المادي لم يواكبه تقدم خلقي وأدبي وروحي. يقول الشيخ الغزالي: "والحضارة الغربية، كما قلنا آنفا اتسع علمها وضاق أدبها، أو طالت ثقافتها وقصرت تربيتها، فهي الآن تصنع أجيالا لا تعرف إلا الحياة ليومها فوق هذا التراب، وتؤمن أنها لن تحيا مرة أخرى

---

[1] -الغزالي، مُحَمَّد. الحق المر. ج 5. ص 14.
[2] - المسيري، عبد الوهاب. العلمانية الشاملة والعلمانية الجزئية. ج 1. 276.
[3] - شريف، عمرو. ثمار رحلة عبد الوهاب المسيري الفكرية. ص 143
[4] - الغزالي، مُحَمَّد. الغزو الثقافي يمتد في فراغنا. ص 24.
[5] - الغزالي، مُحَمَّد. كيف نفهم الإسلام. ص 105.
[6] - الغزالي، مُحَمَّد. مائة سؤال عن الإسلام. ص 196.

أبدا، ومن هنا غلب عليها هذا السعار في اقتناص الموجود، والركض وراء المفقود، والحقد على من وجد، والازدراء على من فقد"[1]. وهكذا يرى الشيخ الغزالي أن الحضارة الحديثة مع هذا السبق في الدراسات الإنسانية والعلمية والكونية، لا زالت واقفة عند العصر الحجري في ضبط الغرائز، وترويض الحيوان الرابض داخل الجسم البشري، وكبح الأثرة المسعورة[2].

7. **الأزمة الروحية:** إن التسلط المادي والطغيان العلمي أصاب النفوس الإنسانية بالقلق واليأس والضياع. يقول الشيخ الغزالي: "وقد مضت حضارة الغرب في طريقها لا يثنيها شيء، غير أن الاستغراق في الدنيا لا يحقق الخير للفرد، ولا للمجتمع.. وكذلك يفعل الخراب الروحي، وخواء الإيمان بأوروبا وأمريكا، إن الجماهير تشعر بالقلق والضيق"[3]. لقد عملت المادة على قتل المعاني الروحية في الإنسان الغربي، وأصبح يعيش في فراغ روحي رهيب. يقول الشيخ الغزالي: "إن الجنس الأبيض الذي يقود هذه الحضارة حقر الإنسانية كلها يوم قطعها عن بارئها، وشغل نفسه بعبادة نفسه، وإشباع غروره، وتحقير غيره"[4] وفي عبارة دالة يقول أحد الباحثين الغربيين" لقد نسينا في نشوة التقدم المادي أننا نملك، أيضا حياة داخلية، وعقلا، وروحا، لقد تركناها في جوعها أنها تطالب، وستطالب غدا بإلحاح؛ بأن تؤخذ بالحسبان من جديد"[5]، بالرغم من إنجازات الحضارة على المستوى السياسي والاجتماعي، إلا أنها تركت الإنسانية فقيرة ثقافيا، ومفلسة روحيا، فالإله ميت، وتم التأكيد على أن القيم الأخلاقية والروحية نسبية تماما، ومصاغة اعتباطيا، فلا تجد النفس والروح عزاء، ولا زادا، وراحت العلاقات الشعبية، والأوامر التقليدية تضعف وتنهار، والفردية النرجسية متفشية، ونجد الحضارة الغربية نفسها

---

[1] -الغزالي، مُحَمَّد. مائة سؤال عن الإسلام. ص 197-198.

[2] -الغزالي، مُحَمَّد. مائة سؤال عن الإسلام. ص 445.والحق المر. ج 5. ص 178.

[3] -الغزالي، مُحَمَّد. مائة سؤال عن الإسلام. ص 447.

[4] - الغزالي، مُحَمَّد. الغزو الثقافي يمتد في فراغنا. ص 24.

[5] -رينيهويغ- دايساكوإيكيدا. شرق وغرب: حوار في الأزمة المعاصرة. تر: عيسى عصفور. ط 1سللسة دراسات فلسفية. دمشق: منشورات وزارة الثقافة السورية، 1995م. 22.

منزلقة بإصرار نحو الانحلال[1]. ولهذا كان القلق والتوتر أكبر إفرازات العصر الحالي: "إن القلق سمة من أوضح سمات عصرنا بدون أي ريب"[2]. يقول الشيخ الغزالي: "والحضارة التي تسود الحياة المعاصرة صارت أشواطا متفاوتة في مضمار الارتقاء العام، فسبقت في ناحية وتخلفت في ناحية، ولا ندري هل تعادلت كفتا الأرباح والخسائر، أم رجحت إحداهما؟ ومع ذلك فإن الناس جياع إلى مشاعر الاستقرار والسعادة"[3]. وهذه الأزمة الروحية لا زالت تفتك بالمجتمعات الغربية، وفي ذلك يقول الشيخ الغزالي: "إن المدنية الحديثة توفر للناس جهدهم الإنساني وتقوم عنهم بأداء كثير مما كان يقتضي جهدا بدنيا أو عضليا، والخدمات أكثر من الحاجة إليها، والعرض أكثرمن الطلب.. وهنا يحس بالوحدة القاسية رغم كل مبهجات العيش"[4]. إن الحضارة التي تسود الحياة المعاصرة صارت أشواطا متفاوتة في مضمار الرقي العلمي والتقني والصناعي، لكنها فشلت في المجال الروحي والأدبي والخلقي.

8. **النزعة العنصرية**: إن العنصرية في الحضارة الغربية يمكن تلخيصها فيما يلي:

- الحضارات غير الغربية أدنى بكثير من الحضارة الغربية على المستويات السياسية والاجتماعية والأخلاقية.
- الشعوب غير الغربية تختلف عرقيا عن الشعوب الغربية، وهذا الاختلاف وراثي.
- لأن الحضارة والعرق هما شيء واحد، فإن التخلف الحضاري أمر وراثي وبالتالي حتمي[5].

ولعل ظهور الفكر العنصري كان أمرا حتميا بعد تراجع الرؤية الدينية في الغرب وتصاعد معدلات العلمنة"[6]. وهذه حقيقة لا يماري فيها أحد، فإذا انسلخ الدين عن واقع الناس، يرجعون

[1] - مُحَمَّد محمود سيد أحمد طه نور. أعداء الحداثة. ط 1. الرياض: دار الوعي للنشر والتوزيع، 1434هـ. ص 158. نقلا عن: ديفيد، تريس. في مقال له بمجلة الفكر العربي. تر: هيثم فرحت. بيروت: معهد الاتحاد العربي: ع 28. 1997م. ص 144.

[2] - رينيهويغ- دايساكوإيكيدا. شرق وغرب: حوار في الأزمة المعاصرة. 74.

[3] - الغزالي، مُحَمَّد. من معالم الحق في كفاحنا الإسلامي الحديث. ص90.

[4] - الغزالي، مُحَمَّد. مائة سؤال عن الإسلام. ص 447-448.

[5] - المسيري، عبد الوهاب. الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان. ص 180.

[6] -المسيري، عبد الوهاب. الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان. ص 181.

في صوغ حياتهم إلى مزيج من نداء الغريزة ونداء الهوى، وهكذا وجدت الحضارة الغربية العلمانية ضالتها في كل من العرق والنظرية العنصرية، وبسبب التقدم التكنولوجي وأسباب أخرى، اندفع الغرب بجيوشه إلى أرجاء العالم، تقوده نزعة الاستعلاء والعنصرية، وكسب معظم المعارك العسكرية. يقول الشيخ الغزالي تأسيسا على كلمة للكاتب الفرنسي الشهير **مونتسكيو**[1] جاء فيها: "إن شعوب أوروبا بعد أن أفنت سكان أمريكا الأصليين لم تر بدا من أن تستعبد شعوب إفريقيا لكي تستخدمها في استغلال هذه الأقطار الفسيحة كلها، والشعوب المذكورة ما هي إلا جماعات سوداء البشرة من أخمص القدم إلى قمة الرأس، وأنفها أفطس فطسا شنيعا، ويكاد يكون من المستحيل أن ترثى لها فإنه لا يمكن للمرء أن يتصور أن الله سبحانه وتعالى، وهو ذو الحكمة السامية، قد وضع روحا أو على الأخص روحا طيبة داخل جسم حالك السواد"[2]. وهنا بدأ الأوروبيون يدركون تفوقهم المادي الذي يستند على الادعاءات الدينية أو الفكرية التي يطلقها الإنسان عن نفسه، وهي ادعاءات فكرية ذاتية واهية، بدأت أوروبا بعد الثورة الصناعية ترى أن تفوقها يستند إلى حقائق مادية مثل الآلات والمدافع[3]. يرى الشيخ الغزالي أن العنصرية جزء أصيل من الحضارة الغربية الحديثة حيث يقول: "إن الاستهانة بالأجناس الأخرى كانت وما زالت ديدن الرجل الأبيض، وعندما أعوزه الانتصار السريع ضد اليابان ألقى قنبلتين مبيدتين على هيروشيما وناكازاكي فقتل نصف مليون إنسان بين طفل وامرأة وشيخ وشاب"[4].

وأصبحت الحضارة الغربية منفصلة عن القيم، وهكذا هيمن هذا الانفصال "على كل مجالات الحياة المهم منها وغير المهم، المركزي منها والهامشي، وأحكم قبضته وأصبح هو أساس الخريطة الإدراكية للإنسان الغربي الحديث"[5]. وهكذا فشلت الحضارة الغربية في تأسيس علاقة متينة مع الدين، ولم يعد صاحب الهيمنة، وإنما أمراً شخصيا لا علاقة له بالحياة العامة السياسية

[1] -مونتسكيو(1689م-1755م): كاتب وفيلسوف فرنسي، يعد أحد أبرز الفلاسفة السياسيين في القرن 18 عشر. أهم آثاره: رسائل فارسية، وقد سخر فيها من المؤسسات الفرنسية الاجتماعية والسياسية في عصره، وفي روح القوانين، وقد درس فيه طبيعة الدولة وعلم القانون وكان له أثر بعيد في تطور الفكر السياسي. انظر: البعلبكي، منير. معجم أعلام المورد. ص 444. والطرابيشي، جورج. معجم الفلاسفة. ص 652.

[2] - الغزالي، مُحَمَّد. الحق المر. ج 2. ص 309.

[3] - المسيري، عبد الوهاب. الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان. ص 184.

[4] - الغزالي، مُحَمَّد. مائة سؤال عن الإسلام. ص 196.

[5] - المسيري. عبد الوهاب. دراسات معرفية في الحداثة الغربية. ص 255.

والاقتصادية والاجتماعية"[1]. وهكذا نزعت القداسة عن كل شيء، عن الدين والأخلاق والعلم والسياسة والاقتصاد، والدولة والمجتمع. ويرى الشيخ الغزالي أن السبب في ذلك يعود إلى أن "التقدم المادي لم يواكبه تقدم روحي"[2]. وهكذا غابت المعيارية والغائية الإنسانية، واختفت الثوابت والمنطلقات، ومع مرور الوقت، ترك الغرب كل قداسة الأشياء، ومن ثم كل القيم المقدسة، فأفقدت الحضارة الغربية الإنسان إنسانيته، فأصبح إما وحشا مفترسا ينقض على كل ما يستطيع امتلاكه، أو يصبح حيوانا تائها في المتاهات التي تفتح له باب المخدرات[3].

وصفوة القول، إن الحضارة الغربية هي حضارة مادية عدوانية، عنصرية، إمبريالية، استهلاكية اتسع علمها، ولكن جفت أخلاقها وآدابها، وهكذا دفعت الحضارة الغربية بأبنائها إلى عالم الاستهلاك وعالم المدنس.

المطلب الثالث: موقف الشيخ محمد الغزالي من الحضارة الغربية وأهم كتاباته فيها:

يعترف الشيخ الغزالي بالجهد الذي بذلته الحضارة الغربية، وما قدمته للإنسانية من إنجازات، واختراعات، ولكنه يستنكر الجوانب السلبية فيها.

الفرع الأول: موقف الشيخ محمد الغزالي من الحضارة الغربية:

قام الشيخ الغزالي رحمه الله برصد مظاهر الحضارة الغربية، رصداً شاملا وعميقا للغاية، واضعا أصابعه على مكامن الداء فيها، وقد كان وصفه لها مبنيا على منهج دقيق، ومقارن بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية، فحين جال بفكره ونظره في مرتكزات الحضارة الغربية، وبحث عن السعادة الإنسانية الحقيقية فيها، لم يجد فيها إلا البؤس والشقاء والإلحاد، والقلق. فكان طبيعيا أن يرفض فيها هذا الجانب المظلم. يقول الشيخ الغزالي: "فليست هذه الحضارة على مستوى الاحترام الذي تطلبه لنفسها، أو يطالبه لها عشاقها، أبادت في صمت، ولا تزال تبيد أجناسا بشرية ضعيفة"[4]. ولكن في نفس الوقت نوه بمجموعة من الإنجازات العلمية والتقنية والفكرية لهذه

---

[1] -المسيري. عبد الوهاب. دراسات معرفية في الحداثة الغربية. ص 255.
[2] - الغزالي، مُحَمَّد. مائة سؤال عن الإسلام. ص 195.
[3] - بن نبي، مالك. دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين. ص 46.
[4] - الغزالي، مُحَمَّد. الغزو الثقافي يمتد في فراغنا. ص 28.

الحضارة. حيث يقول "إنها حضارة ذكية العقل، واسعة المعرفة، وقد طوعت ما بلغته إلى تقدم صناعي باهر.. ولكن هناك إحساسا عاما بأن هذا التقدم المادي لم يواكبه تقدم روحي، وأن إنسان العصر الحديث لا يختلف كثيرا عن إنسان العصر الأول في غرائز هو شهواته"[1].

لقد اتسم موقف الغزالي من الحضارة الغربية وإنجازاتها العلمية والفكرية، بالاعتدال[2]، والرؤية النقدية، والدعوة للاستفادة من تجارب الآخرين. فمن باب الاعتراف بالحق يشير الغزالي إلى مجالات تستحق التنويه في الحضارة الغربية. يقول الشيخ الغزالي: "إن يده الطولى في ميادين العلم والتطبيق أمكنته من ارتقاء صناعي باهر شمل المجالين المدني والعسكري على السواء، وها هو ذا بعد أن قدر على الأرض يرنو إلى غيرها من الكواكب، ولا أحب أن أغض من عظمة هذا التقدم الكبير، ولا أن أتذرع بسوء استخدامه إلى النيل منه، إن جحود النعمة رذيلة منكورة، أما النعمة نفسها فشيء جميل"[3]. وأبرز هذه المجالات، المجال العلمي والتقني، الذي برزت فيه بقوة حيث استطاعت أن تبحث في خبايا الكون والتعرف على أسراره مستندة في ذلك على المنهج العلمي التجريبي. يقول الشيخ الغزالي: "والحضارة الحديثة نجحت في ميدان البحث المادي وتعمقت في الدراسات الكونية كلها، وهذا النجاح في رأيي يجعلها أقرب إلى منطق القرآن الكريم، وأدنى إلى منهجه، فإن التفكر في الكون أرضه وسمائه وما بينهما، مطلب إلهي لا ريب فيه"[4] كما يشيد الشيخ الغزالي بالحضارة الغربية التي قامت على العقل والعلم فيقول "لأنها من الناحية العقلية احترمت منطق الاستقراء والتجربة والملاحظة [5]. كما أشاد كذلك بإنجازاتها الاجتماعية في تحقيق العدل والمساواة والحرية وحقوق الإنسان[6].كما نوه بصناعاتها الدقيقة التي أبهرت العالم أجمع. وفي ذلك يقول:"إن الحضارة الحديثة قامت على صناعات دقيقة، قد ترى آلاتها بالمجهر، وقد تكون آلاتها الضخمة قائمة على علاقات بالغة الدقة، والنجاح في تصريف هذه الآلات يتطلب اللطافة واللباقة والأناة والحذر"[7]. إلا أن الشيخ الغزالي ينتقد هذا التقدم العلمي للحضارة الغربية، لأنه

---

1 - الغزالي، مُحَمَّد. مائة سؤال عن الإسلام. ص 195.

2 - محمود، شعبان زكريا. الشيخ مُحَمَّد الغزالي وجهوده في مواجهة الفكر الغربي. رسالة ماجستير. السودان/الخرطوم، 2018م. ص 145-146. غير منشورة.

3 - الغزالي، مُحَمَّد. الغزو الثقافي يمتد في فراغنا. ص 23.

4 - الغزالي، مُحَمَّد. مائة سؤال عن الإسلام. ص 445.

5 - الغزالي، مُحَمَّد. الحق المر. ج 3. ص 233.

6 - المصدر السابق. ج 3. ص 233.

7 - الغزالي، مُحَمَّد. الحق المر. ج 4. ص 174.

تقدم مقطوع الصلة بالأخلاق والقيم من جهة، ومن جهة ثانية يخدم أغراضها الرديئة. وفي ذلك يقول "إن الحضارة الحديثة بشقيها الغربي والشرقي، أحرزت تقدما هائلا خدمت به أغراضها الرديئة"[(1)].

ولكن من أبرز النقاط التي يقف الشيخ الغزالي من أجلها في وجه الحضارة الغربية ناقدا من رؤية قرآنية مضبوطة:

- **أولا:** استغلال قوتها المادية وتفوقها العسكري في بسط نفوذها على العالم الاسلامي يقول الشيخ: **"**وللمنتصر كفته الراجحة، وأمره النافذ.. ثم كيف إذا كان مزودا بألوان من المعرفة، وألوان من الأسلحة على حين كان خصمه يرسف في أغلال الجهل"[(2)].
- **ثانيا**: وفي مخاصمة الأديان وتحقير الإنسانية، يقول الشيخ الغزالي: "إن الجنس الأبيض الذي يقود هذه الحضارة حقر الإنسانية كلها يوم قطعها عن بارئها، وشغل نفسه بعبادة نفسه، وإشباع غروره، وتحقير غيره"[(3)].
- **ثالثا:** في نشر الإلحاد: يقول الشيخ الغزالي: "ولا عجب، فنحن في عصر توغل الإلحاد في أحشائه، وما نظن الدنيا فيما مضى من أمرها قد استفحل فيها الزيغ استفحاله في هذا العصر"[(4)].
- **رابعا:** في الدعوة إلى الإباحية: يقول الشيخ الغزالي: "ذلك أن أصحاب النزعات المادية من وجوديين وشيوعيين وإباحيين يبنون مذاهبهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والخلقية – قبل ذلك وبعده – على أن الإنسان نبات أرضي شيطاني لا رب له ولا حساب ينتظره"[(5)].

وهكذا يرى الشيخ الغزالي: أن الحضارة الغربية هي حضارة مادية بامتياز، وأنها بعيدة كل البعد عن الفطرة السليمة، فصلتها بالله ضعيفة، والإنسان في الغرب لا يهمه إلا الجانب المادي الاستهلاكي، تائه بين فلسفات مادية، تنكر وجود الله، وتقيم الحياة على الأنانية والصراع

[1] - الغزالي، مُحَمَّد. الغزو الثقافي يمتد في فراغنا. ص 91.
[2] -الغزالي، مُحَمَّد. الغزو الثقافي يمتد في فراغنا. ص 98-99.
[3] -المصدر السابق. ص 24.
[4] - الغزالي، مُحَمَّد. ركائز الإيمان بين العقل والقلب. ص 63.
[5] -المصدر السابق. ص 63-64.

والعدوانية، والفوضى الأخلاقية. ثم يدعو الشيخ الأمة الإسلامية إلى اتخاد موقف حكيم من هذه الحضارة "إن الفكر المادي الوضيع يفرض نفسه عن طريق لغط لا آخر له، وبغام دواب ملكت ناصية الكتابة والتوجيه.. حتى كانت النتيجة أن هان ربنا علينا، هان القرآن علينا، هان ديننا علينا، هنا على أنفسنا، فسقطنا من عين الله، ومن أعين الناس في الميدان العالمي.. إذا كنا قد جررنا في طريق المادية والشيوعية، ومشينا طوعا أو كرها خطوات في هذا الطريق فينبغي أن نعود أدراجنا إلى كتاب ربنا وسنة نبينا عليه الصلاة والسلام.. الموت أفضل من أن نعيش بلا دين"[1]. ويرى الشيخ الغزالي أن الحضارة الغربية اليوم أصبحت تفقد أسباب نموها وازدهارها، ولكن رغم ذلك مازالت سيدة الموقف يقول الشيخ الغزالي: "وقد تكون حضارة الغرب فقدت في هذه الأيام عناصر كثيرة من أسباب نموها وازدهارها، إلا أنها - والحق يقال- ما تزال سيدة الموقف، لا لشيء إلا لأنه لم يوجد بعد من ينافسها على قيادة العالم، ومن يثبت جدارته على أخذ الزمام منها، والسير بالقافلة المعاناة في سبيل أقوم، وإلى غاية أسلم"[2]. ويؤمن الشيخ الغزالي أن الحضارة الغربية قامت على أسس مادية وعقلية، إلا أن تأثرها بالحضارة الإسلامية له نصيب في قيامها وازدهارها، وفي ذلك يقول الشيخ الغزالي: "والحضارة التي تسود العالم اليوم اعتمدت في منطقها العلمي على الخلاصات الصحيحة من الفكر الإسلامي الناضج، وهو فكر انفرد بزمام العالم دهرا طويلا كما تنفرد حضارة أوروبا اليوم بتوجيه الناس"[3]. وقد أنكر الشيخ الغزالي على المتشائمين من الحضارة الغربية الذين ينظرون إلى الغرب نظرة سوداء، ولا يميزون بين الجانب المنير فيها والمظلم، ويدعوهم الى الانتفاع بالصالح فيها. وفي ذلك يقول: "أنا أحتفي بالجوانب المادية من الحضارة الحديثة، ولا أشارك المتشائمين منها ولا الضائقين بها"[4]، ومن ثم يدعونا الغزالي للتعامل مع منجزات الغرب برؤية منفتحة، ودون خجل من الأخذ من حضارته، فالحق ليس حكرا على أمة من الأمم، ثم إن حضارة الغرب لم تكن جهد أهله وحدهم، فلولا ما قدمته حضارة الإسلام لأوروبا ما انتعشت أوروبا ولا سادت، فلماذا يعز علينا أن نسترد بعض ما وهبنا[5]. ولكن ما ضوابط ذلك الاقتباس ومعاييره؟ يرى الشيخ الغزالي أن الضابط في الاقتباس هو الكتاب والسنة، فما قبله الإسلام

[1] - الغزالي، مُحَمَّد. خطب الشيخ مُحَمَّد الغزالي في شؤون الدين والحياة. ص 107.

[2] - الغزالي، مُحَمَّد. في موكب الدعوة. ص 7.

[3] - المصدر السابق. ص 9.

[4] - الغزالي، مُحَمَّد. الغزو الثقافي يمتد في فراغنا. ص 23.

[5] -المصدر السابق. ص 132.

قبلناه، وما رفضه رفضناه. وفي ذلك يقول" أريد من أمتنا أن تقتبس من حضارة الغرب ما يوافق أو يتواءم مع فطرة الله في مواريثنا"[1]. وبديهي أن الاقتباس لن يكون في مجال العقائد والعبادات والطقوس الكنسية الوثنية. يقول الشيخ الغزالي: "ونحن نقول إن التوفيق بين ما في الإسلام من عقائد وعبادات، وبين ما في أوروبا من تثليث، وطقوس كنسية وجاهلية جنسية مستحيل"[2]. بل يكون الاقتباس في شؤون الزراعة، والصناعة، والعلاقات، والعدالة الاجتماعية، والأجهزة الإدارية، والمالية[3]. ويضرب الشيخ الغزالي مثالا باليابان، حيث أرادت بناء دولتها الحديثة، ونقل التفوق الصناعي الغربي إليها، فقد كان حراس التقاليد وأهل الفكر صاحين، وحرصوا أن يكون الاقتباس لا يمس تقاليدهم وهويتهم وتراثهم. يقول الشيخ الغزالي في ذلك: "بقيت الشخصية اليابانية محفوظة السمات ثابتة الملامح، فانتقلت الصناعات الغربية إلى اليابان، ولم يتحول اليابانيون إلى أوربيين في عقائدهم، أو لغتهم، أو آدابهم، وأخلاقهم، إنهم فعلوا ولم ينفعلوا وقادوا ولم ينقادوا[4]. وهكذا يرى الشيخ الغزالي أن الحضارة الغربية تحمل في طياتها إيجابيات وسلبيات، وبالتالي علينا أن نقبل محاسنها التي تنسجم مع ديننا وهويتنا، أما سلبياتها فنرفضها جملة وتفصيلا، وفي ذلك يقول: "فإن الحضارة الحديثة تضم عناصر متفاوتة القيم، فما يمت منها إلى العلم المجرد والطبيعة الأصيلة يجب أن نقبله دون تردد.. وفي هذه الحضارة شهوات مطاعة، وأرجاس مقررة، ورذائل يشعلها الهوى والبغي والغرور، وهناك نزعات لها خصائص النبتات المتسلقة فلا كلام في ضرورة البعد عنها، إنها غريبة عن الحضارة، بل هي خصم لها قديم"[5].

وصفوة القول، إن الغربيين ارتقوا في الجانب المادي، ولكنهم فشلوا في الجانب الروحي، وسيطرت عليهم النزعات الحيوانية، وأوشكت الإنجازات العلمية أن تكون وبالا ساحقا عليهم، ما لم يوازنوا بين الماديات والروحيات.

[1] - الغزالي، مُحَمَّد. مائة سؤال عن الإسلام. ص 475.
[2] - الغزالي، مُحَمَّد. كيف نفهم الإسلام. ص 133.
[3] - الغزالي، مُحَمَّد. كيف نفهم الإسلام. ص 132.
[4] - الغزالي، مُحَمَّد. مائة سؤال عن الإسلام. ص 470.
[5] - الغزالي، مُحَمَّد. من معالم الحق في كفاحنا الإسلامي الحديث. ص 69.

الفرع الثاني: أهم كتابات الشيخ الغزالي عن الحضارة الغربية:

1- **من معالم الحق في كفاحنا الإسلامي الحديث**[1]: يرى الشيخ الغزالي أن ما أصاب الإسلام في عصرنا يرجع إلى أسباب متعددة. ومن عناوين الكتاب: أقلام تحارب الإسلام تحت ستار محاربة التعصب، الإسلام مقياس الحكم والتقويم، العلم يدعو إلى الإيمان[2].

2- **مائة سؤال عن الإسلام**[3]: يتضمن هذا الكتاب مائة سؤال في نواحي الإسلام المختلفة التربوية، والسياسية، والاجتماعية، والحضارية، حيث يقوم الشيخ بالرد عليها، وكلها من أهم الموضوعات التي تدور حولها استفسارات المسلمين[4].

3- **ركائز الإيمان بين العقل والقلب**: وضع الشيخ الغزالي هذا الكتاب لخدمة الثقافة الإسلامية مستهدفا أمرين: الأول: إثارة العقل والضمير بأشعة الوحي ومعالم النبوة، والثاني: تبديد الغيوم التي تراكمت خلال قرون الضعف في تاريخنا. ومن عناوين هذا الكتاب: التفاوت بين التقدم الروحي والتقدم العقلي، العلم ظهير الإيمان، صدق المعرفة ووحدة الوجود[5].

4- **الغزو الثقافي يمتد في فراغنا**[6].

خاتمة:

يبدو أن الفكر الغربي لا يقيم وزنا للفكر الإسلامي، بل يقف موقف العداء والمناهضة والصراع، وبالرغم من ذلك، فإن الشيخ الغزالي يعترف للنموذج الغربي بمواطن القوة في إسهاماته الإنسانية، وصلاحيته للاقتباس، وهذا من إنصافه المعهود فيه والمطرد في كتاباته الفكرية والعلمية، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

---

1 -الغزالي، مُحَمَّد. من معالم الحق في كفاحنا الإسلامي الحديث. ط 4. القاهرة: نهضة مصر للطباعة والنشر، 2005م.

2 - عمارة، مُحَمَّد. الموقع الفكري والمعارك الفكرية. 58-59.

3 - الغزالي، مُحَمَّد. مائة سؤال عن الإسلام. . ط 4. القاهرة: نهضة مصر للطباعة والنشر، 2005م.

4 -عمارة، مُحَمَّد. الموقع الفكري والمعارك الفكرية. ص 78.

5 - عمارة، مُحَمَّد. الموقع الفكري والمعارك الفكرية. ص 70.

6 - الغزالي، مُحَمَّد. الغزو الثقافي يمتد في فراغنا. (د. ط. ت) القاهرة: دار الشروق.